الباب الأول
موائد الجوع

obeikandl.com

obeikandl.com

المقال الأول
الثنائى المتناغم

خلف هذا الباب أعدت الموائد، فخلف هذا الباب الكثير، فإذا فتح الباب، ماذا خلفه ؟ ماذا نفعل على هذه المائدة ؟ والباب كبير جدا، ينتظر حراس الباب أن يتقدم أى منا، فهناك دفتر الحضور للتوقيع فى الاحتفالية الكبرى، إنها موائد خصصت للجوعى، فمن هؤلاء الجوعى وما هى صفاتهم، وماذا يرغبون؟ وماذا على مائدة الطعام من أشكال وألوان؟

إن هناك منذ الأزل، ونحن نفكر داخل أنفسنا، نتحسس أنفسنا تارة، نحاول أن يدرك كل منا نفسه، يدفعنا جميعا، شيء وأشياء، وكل تحركاتنا تنبع من هويتنا، المتكونة من مزيج الثنائية، وهذا المزيج الثنائى، فى حالة جوع دائم لا يشبع، ألا وهو جوع الثنائى من الجسد والروح، فالجسد له متطلباته، والروح لها متطلباتها، ولكى يكتمل النمو، ويظهر شكلنا وهويتنا، تعتمد على المدخلات التى يتناولها كل من الجسد والروح على موائد الجوع.

إن التضارب بين الثنائى الروحى والجسدى، يدفع المرء إلى مجاهل ومزالق كثيرة، يترنح فى ممر الجوع، متخبطا، ولما كان الثنائى أحدهما حين يتناول طعامه يستطيع أن يحلق، بجناح الإيمان والروحانيات، فيأخذ معه، الجسد الجائع، ويطهره مما يرغب، إن الجانب الروحى جانب ارتقاء، لا يتناول صنفا من طعام فتغذيه الروح، تنشق من مصدرين أساسين هما كتاب الله، وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله، وسنة نبيه – **صلى الله عليه وسلم**».

إنها المائدة الكبرى، مائدة الهداية، لهذا الثنائى المتناغم. وإن اختلفت مدخلات المائدة، أصيب الإنسان بالعلل الكثيرة، والعلل كثيرة، فى ترك الأصل

لتتسبب الانحرافات النفسية فى انحراف العقيدة وزيغ القلب واتباع طريق اللذات والشهوات، ان هذا الجانب ليس لديه صمام كافٍ فى ضبط الانفعالات التى تتوتر مثل عود الوتر حين يهتز من العزف على باب الشهوات، إن العلة الكبرى فى ترك باب الهداية من عدم اتباع كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم تتعلق بالانحرافات الظاهرة والباطنية، فالانحراف الظاهر يظهر فى السلوك العكسى والمضاد للمجتمع، وهو ضد الفطرة، والانحرافات الباطنية هى أمراض تتعلق بمداخل الشيطان، وباطن الإثم، وأمراض القلوب، وأصول الذنوب، إن باب الانحراف يؤدى إلى التخبط والانزلاق فى موائد عليها صنوف متعددة الأطباق، إن أطباق المائدة التى يتناولها المرء حين يتباعد عن الأمرين (الكتاب والسنة)، تفتح أمامه بابا يفسد به نفسه ويفسد به ما يحيط بهم، فهناك طبق الظلم و طبق الجحود بالنعم و طبق الأنانية وحب النفس و طبق الغرور والكبر و طبق العبادة المتروكة و طبق الكذب والنميمة، إنها أطباق المائدة المضطربة، فكل من يترك الأمرين، ينحرف ويتخذ من الأطباق السابقة مصدرا لتغذية ذاته الروحية، فيضل عن سبيل الله **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ} (طه -١٢٤-١٢٦).**

إن الفطرة فى الشخصية هى فطرة تحمل بداخلها الغاية من خلق الإنسان، ومسئوليته، فالغاية كما فى سورة الذاريات آية ٥٦ **{ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }**، أما المسئولية فتتمثل فى حدود الأمانة المكلف بها الإنسان **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ} (الأحزاب- ٧٢)** - ، عرض الله تعالى طاعته وفرائضه وحدوده على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها إشفاقًا منها أن لا تقوم بالواجب عليها، **{ وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } (الأحزاب- ٧٢)** .

إن الأمانة المذكورة فى هذه الآية الكريمة، والتى عرضها الله على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، هى التكاليف الشرعية، سواء فى ذلك حقوق الله تعالى، وحقوق عباده، فمن أدى حق الله وحق عباده أثيب، ومن فرط فى حق الله وحق عباده استحق العقاب.

من هنا نرى ان الانحرافات النفسية والجسدية المضطربة تأتى من ترك أمر الكتاب والسنة، وتعزى إلى باب ترك المسئولية المكلف بها الإنسان وهى حمل الأمانه، غاية وجوده على هذا الكون، وطالما يتخلى الإنسان عن موائد الله من طاعات وعبادات وحمل الأمانات فإنه يتخلى ويبتعد عن صراط المائدة المستقيم الذى لا انحراف فيه **{أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}** (الملك: ٢٢).

من هنا نجد أن الاضطراب فى العقيدة والعبادة والتفكير والمشاعر والتصرفات والذى يستمد مادة إطعامه من مصدرين هما الكتاب والسنة، إذا خالف ما يحتاجه الغذاء الروحى من طعام وإطعام، والإطعام بيد من؟ وهذا وهو الأهم، فإن التغذية الروحية تتوقف على نوع الطعام ومقدم الطعام ومعد الطعام، وفى مقدمة مقدمى الطعام أو الشيف الروحى هم الدعاة، فهم يقومون بتغذيتنا بأطباق الهداية ويقع عليهم العبء الأكبر، وكذلك ولاة الأمر من الأب أو الأم وما فى مستواهم كالمعلم أو المعلمة، فهؤلاء إما يحملون فى أيديهم مصابيح إنارة القلوب، أو أنهم يحملون مصابيح الزينة والغواية التى تضلل العيون، ويأتى هنا دور وسائل الإعلام وفقهاء الأمة لوقاية الإنسان.

إن ترك هذا الباب لإشباعه الروحى بما يخالف الشريعة والفطرة يصل بنا إلى أمراض كثيرة، ولكل مرض سبب، فما هى أسباب الأمراض الروحية؟ فكما ذكرت فإن الأطباق التى يتناولها الإنسان فى الجانب الروحى كثيرة وما يفسد هذا الجانب، هو أطباق الذنوب والخطايا وتشكيلة الأطباق كثيرة، سوف أتناولها كل على حدة، فى حلقات متتابعة، بشكل يومى إن شاء الله، على هيئة وجبات يومية.

obeikandi.com

المقال الثانى
طبق الخطايا يمحوه غض البصر

حين تجلس على طاولة الطعام لتنتظر أصناف الطعام وأشكالها وطريقة مقدمها، فبغريزتك الفطرية تستطيع أن تميز كيف تبدأ، وكيف تقبل أو تستسيغ الطعم أو تتخيل كيف يكون مذاق الوجبة، والمائدة التى أقدمها هى مائدة الوجبات الخاطئة التى يجب أن نتركها، لأنها تخالف الفطرة التى من اجلها نعيش.

طبق الذنوب والخطايا واقتراف الإثم والخَطِيئَةُ هى ما عظُم من الذَّنب ومخالفة الشَّريعة الإلهيَّة، وهى إساءة تستلزم الصفح أو التعويض **{وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}** – **(النساء-١١١)**.

هذا الطبق لا يتناوله إلا ضعيف الإيمان، وهذا الطبق من اقتراف الذنوب بمثابة ابتلاع السموم لتؤدى إلى طريق الانتحار، إن طبق الخطايا، واقتراف الآثام، يأتى نتيجة ضعف جهاز المناعة الإيمانية فى يقين الوجود، ولتقوية الجهاز المناعى ضد هذا الباب، علينا بغض البصر والرضا، أما عن غض البصر **{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}**.**(النور: ٣٠-٣١)**. إن غض البصر يورث فى القلب البصيرة، وترك ما حرم الله يطلق له نور البصيرة، وغض البصر من سبل حفظ الفرج، ولذلك إذا تأملنا الآية نجد أن الله تعالى أمر بغض البصر قبل أن يأمر بحفظ الفرج، فحفظ الفرج يتبع غض البصر وتابعه، وغض البصر فيه تزكية للنفس ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ. وغض البصر هو شكر نعمة الله أن أعطانا البصر لنستخدمه فى شكر الله على نعمه، لا أن نستخدمه فى معصيته، **{هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَوَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ}**. **(الملك- من الآية٢٣)**، وحق النعم فى البصر واجبة الشكر، ومن هنا علينا أن ننظر إلى ما يتبعه النظر فيما يدور حولنا من وسائل مرئية أو مسموعة وما يكمن فيهما من غواية، فكما قال مجاهد: غض البصر عن محارم الله يورث حب الله. وغض البصر هو استعلاء على النفس الأمارة بالسوء، وغلق

نوافذ الفتنة أمامها والتى زادت فى هذه الأيام، ودليل صدق لقوة العزيمة. إن غض البصر فيه سلامة القلب من أمراض الشهوات وراحة مما لا صبر له عليه. إن غض البصر هو صمام أمان لحفظ المجتمع من الانزلاق وراء السعار الشهوانى الذى لا ينطفئ ولا يرتوى وما نشاهده فى التحرش وانتهاك الأعراض ما هو إلا أكبر دليل وبصرف النظر عما يفعله الآخرون من خروج عن قواعد التبرج **{وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ} الأحزاب ٣٣**، ولحن القول والخضوع به **{إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} (الأحزاب- ٣٢)**. إن غض البصر حماية من الوقوع فى حمأة الرذيلة والفاحشة. ولحل هذه المعضلة فى غض البصر لنرى ما أعد لمن غض البصر لنعرف حجم الجزاء العظيم من الله سبحانه وتعالى: **{وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}. (الأحزاب- ٣٥)**.

وأما عن الرضا، نسأل أنفسنا ما معنى الرضا، فرضا النَّفْسِ يعنى اِطْمِئْنانُ النّفْسِ وهو القبول والاستحسان وهو أَى تَعْبيرٌ عَنِ الْمُوافقَةِ والارْتِياحَ، فكيف يأتى الرضا، إن الرضا يرتبط بالخشية فى لقاء الله سبحانه وتعالى **{رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}. (البينة- ٨)**. إن الرضا بما أعطانا الله من الجزاء فى الدنيا بشكر النعم وما سنحصل عليه فى الآخرة جزاء عن خير أعمالنا، إنه العطاء الجزيل لِمَنْ خَشِى رَبَّهُ وهو ثابت لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، الإيمان بأن كل من عنده، وأن الأرزاق بيد الله، **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ} (الزخرف ٣٢)**، وإن قضية الرزق إذا تركت بيد البشر فى التوزيع لكان العجز والقصور، فالله سبحانه وتعالى قسم بيننا أرزاقنا فى هذه الدنيا، ولم يترك تقسيمها لأحد منهم، فسبحانه بحكمته يدبر أسبابها ولذلك لم يكلها سبحانه وتعالى إلى بشر لعلمه سبحانه وتعالى بعجزهم وقصورهم وعلينا بالرضا، بما قسم الله لنا.

وإذا كان مفهوم الرضا فى الرزق كما ذكرت فإن هناك مفهوم عدم الرضا، ويكون فى مواجهة وإنكار الخطايا من الآخرين فيقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : «إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها وكرهها – وفى رواية – فأنكرها – كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها».

المقال الثالث
طبق الظنون

الطبق الثانى طبق الظنون، والظَّنُّ هو إدراك الذهن الشيءَ مع ترجيحه، وقد يكون مع اليقين، «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». وهو طبق يطلق عليه، طبق التشويش والصراعات، وضعف الضمير، وهذا الطبق هو طبق إذا تناوله المرء، يبتعد عن الدين، وهذا الطبق يؤدى لأمراض نفسية كبيرة منها مرض الشك، وهو مرض شديد التلف لعقل الإنسان يدمره، وجاء فى سورة **الحجرات ١٢ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}**.

إن الظنون حين تملك العقل ويزداد فيه الهواجس، يزيد من الصراع النفسى والألم، وقد يكون الظن غير مبنى على غير الحقيقة ما لم تؤكده الحقائق لا الشواهد، فالشواهد قد لا تعبر عن الحقيقة، لأننا لا نملك تفسيرا لكل الشواهد، وأى طرف يتصرف بشكل غير مقبول يزيد من ريبة الآخرين، وأن وضوح التصرف من المرء أمر ينزع حين ننزع من أنفسنا الخوف بالإضافة إلى الثقة فى الآخرين، وإن الشك فى الآخرين تكون على دائرتين، الدائرة الأولى فى نطاق الأسرة، والدائرة الثانية فى المجتمع الذى نتعامل معه من أصدقاء وزملاء، أو من يحمل الموقف أن نتعامل معهم، وكل نشاط مع الآخرين هو تعامل، والثقة تتطلب أمانة الآخرين فى التعامل معنا، وأمانتنا نحن معهم وإن عنوان الأمانة يندرج تحت **{من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب} ق – ٢٣**. إن حسن النوايا تدفع عنا الشك فى الآخرين، وكم من الظنون قتلت، وكم من الشكوك اقتلعت جذور المحبة.

إن تناول الأطباق الخاطئة تولد بداخلنا الأمراض النفسية لأنها أطباق تمس النفس بشكل مباشر، فطبق الوسواس يؤدى إلى مرض الوسواس، فما هو الوسواس؟ والوسواس هو الصوت الخفى من ريح أو من غيره يصل إلى مسامعنا، وقد

ورد **{فوسوس لهما الشيطان} فى آية ٢٠ من سورة الأعراف**، إن تكرار الوسوسة تشابه إلى حد كبير مسألة الزن أو الدق على الأذن، **{مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ» (٦) سورة الناس}**. إن الوسواس لا يقتصر على بث فى الأذن من خيالات أو تصورات من الشيطان، بل يكون أيضا من الناس، حين يبث فى الأذن السموم، والوسوسة أكاذيب تبث فى الأذن الهدف منها التفريق والتمزيق، التفريق بين الأحبة والتمزيق بين أواصر النفس ذاتها فتصبح فريسة سهلة، ويكون الاكتئاب لها طريقا، إن سموم الوسوسة فى الأذن كم فرقت، وكم باعدت الأواصر، وكم من موسوس فى أذن الغير يبث نار سمومه ليفرق، أو يأخذ مكانة غيره، أو يفرق بين الروابط الأسرية، إنها وسوسة كاذبة باطلة تعيش فى داخلها فى وهم يبدو حقيقة أمامك حتى تصل لمرحلة أن تلبس عباءة الوسوسة فى كل عمل تقوم به، فتفقد ثقة الآخرين تدريجيا، ووسوسة البشر فى أذان بعضهم البعض من باب الحقد والغيرة، وتكون النتيجة أذى الآخرين إنه التشويش بعينه، بهدف تصديق ما يقال والوَسْوَاسُ هو قَلَقٌ نَاتِجٌ عَنِ اضْطِرَابِ نَفْسِى يَحْدُثُ لِلْمَرْءِ مِنْ غَلَبَةِ السَّوْدَاءِ (الكآبة)، وَمِمَّا يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ مِنْ شَرٍّ، و وسوست النَّفْسُ أى حدَّثتْ بما لا جَدْوى به ولا طائل تحتَهُ **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } ق ١٦، ومرض الريبة والرَّيْبُ هو الظَّنُّ والشكُّ والتُّهمةُ {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ }. (الحج -٢٨)**.

إن الوسوسة تولد مرض الريب من الظن والشك فتكون فى النفس ترددا من غير اطمئنان، وهو مرض قلوب ناتج من قلة معرفة علم، وضعف إيمان ينبع من تناول طبق المعاصى من تسلط شيطان، واسترسال الهواجس المبثوثة تسهل اختراقا لشيطان لنا و الغفلة فى الذكر تزيد من الوسوسة، والانفراد الذاتى والعزلة عن المجتمع والآخرين تسهل من طرق باب الوسوسة بسهولة والعلاج يتمثل فى طلب العلم وتقوية الإيمان ومداومة ذكر الله ومعرفة أن الوسوسة من الشيطان وأن الشيطان لن يكون من الناصحين، **{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ..} (الأعراف: ٢١-٢٢)**، ان ملازمة الذكر تصرف عنا وساوس الشيطان وكيده **{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً}** .**(سورة النساء: من الآية**

٧٦)، إن الوسوسة هى نزغ من الشيطان وعلينا أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم **{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} (فصلت: من الآية ٣٦)**، وإذا استعذنا خنس الشيطان، إن باب الرحمة يكمن فى الدعاء، **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)– النمل** ولنتذكر قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال : «أدعو إلى الله وحده، الذى إن مسك ضر فدعوته كشف عنك، والذى إن أضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك، والذى إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك»، لنعلم أن الله ليستحى أن يرد عبدا سأله وقد وعد بالإجابة من دعاه فلنكثر من الدعاء فى مواطن الإجابة.

obeikandl.com

المقال الرابع
طبق الخوف

وننتقل الآن إلى محتوى طبق آخر هو طبق الخوف فما هو الخوف، الخوف اختلفت تعاريفه، فهو حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الفرد فى بعض المواقف، يسلك بعدها سلوكا يحاول من خلاله ان يبتعد عن مصدر الضرر، والخوف له أضرار نفسية وجسمانية، ويمكن الأخذ بمفهوم أن الخوف هو حالة من الفرار على أرض الواقع المغاير لطبيعة الشخص نفسه، وهو ان تخاف من أن يطلع الغير على ما تخبئه عما تظهره وهو نوع من النفاق، بالإضافة إلى الخوف من المجهول، وأخطر أنواع الخوف هو الخوف النفاقى، أى النفاق المخبأ داخل رداء الخوف، والنِّفَاق هو إِظْهَارُ الْمَرْءِ خِلاَفَ مَا يُبْطِنُ **{إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ }. المنافقون.**

وهناك نوع آخر من الخوف هو خوف الغير، أى الخوف بعضنا من البعض والخَوْفُ هو انفعالٌ فى النفس يَحدُثُ لتوقُّع ما يرد من المكروه والأذى من الغير و خافَ اللهَ أى اتّقاه واحترم شريعته **{فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) }. المائدة.**

وإذا كان الخوف هو الشعور بخطر ما سواء معلوم أو متوقع فإنه يولد حالة من القلق والاضطراب، والقلق يشتت الذهن، ويؤدى إلى عدم التركيز والتحفيز فى انتظار الخطر الذى يداهم الفرد، فالخوف من المستقبل أو الفقر نرى فى سورة آل عمران: **{إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) }**. إذن الشيطان وراء ظاهرة الخوف، وان المتتبع لكل مقالاتى وتفنيدى سيجد أن الشيطان له اليد الكبرى فى الأطباق التى تلوثت من الشياطين، سواء شياطين الإنس أو الجن، ونحتاج إلى مطهر للأطباق يغسل

الأطباق ويزكيها حتى تكون قابلة للاستخدام الآدمى. والشيطان ينفث فى العقد العصبية فى الدماغ فتسبب فى انقباض أو ارتخاء فى الجسد، وهو يبث اولا فى شكل وسواس يتبعه تقديم الحلول والمقترحات، ويخوفك من فكرة ما، ثم تنقبض منها أى تخاف منها، وحينئذ يبدأ فى تقديم وجبات المعصية. إن وجبات المعصية وجبات كذب يقدمها الشيطان لنا، **{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}. (٢٦٨) البقرة.**

وإذا كانت الأطباق فيها سموم الخطايا فإن العلاج الاحترازى لنا يأتى فى الآية ٢٦٩ من سورة البقرة **{ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }**. ويعنى ذلك المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. ولذلك كما ذكرت فى مقالى الأول أن التناغم الثنائى (الروحى والجسدى والتوافق بينهما لن يأتى بغير اتباع الكتاب والسنة وفهمهما جيدا **{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}**، وصدق رسول الله حين قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله، وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم».

إن المصاب بالخوف أو الفوبيا يتأثر بأمراض عضوية كالسكرى وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب وتسارع النبض وأمراض نفسية منها التوتر والقلق والهلوسة وانفصام الشخصية وخصوصا فى الخوف من الغير أو خوف النفاق، وأقرب شخص يصاب بالفصام هو المنافق والكاذب ومن يخفى بغير ما يظهر، خوفا من الآخرين، ويصاب كذلك المصاب بالخوف بالتردد وعدم الثقة، وقد ثبت حديثا أن من الأمراض الروحانية والتى تحدث من أثر وتوابع الخوف الرعاش العصبى، والمس الشيطانى، والكوابيس والأرق والاكتئاب والوسواس والوهم، فيا له من طبق يدمر الجانب الروحى بداخلنا.

إن الذى يتجول على طاولة الطعام الروحى وما يسببه من خطأ تناول الطعام غير المناسب يرى أشكالا أخرى من الأطباق إضافة إلى الأطباق المذكورة، فهناك أيضا طبق الحزن والغم والقلق لضعف عقيدة الإيمان، ومن يؤمن بالله واليوم الآخر يبعد عنه الحزن والخوف، فالبعد عن الله يصيب المرء بذلك **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ**

صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.المائدة ٦٩ .

إن أطباق اليأس تبدو على طاولة الطعام، وتبدو حين يقنط المرء، واليأس ينشأ من زوال النعمة (**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ) هود** – ٩ وينشأ أيضا اليأس من الإصابة بالشر كما جاء **فى الإسراء** ٨٣ **{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا }**.

إن هناك على طاولة الطعام (طبقا كبيرا جدا هو طبق حب الذات) به أشكال متعددة من الأصناف تتمثل التبجح **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ }.– الأنفال ٢١** ، والتكبر **{ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ}. (النساء-٣٦-٣٧)** والأنانية والغرور والنميمة والبطر والغيبة، وهذه القطوف نجد أنها تتجمع فى طبق واحد. إن السلوك البشرى حين يغالط الفطرة تظهر فيه من الصفات والسلوكيات التناقض الكثير، فإن مضاد الفطرة هو السيئ المخالف لها، دون التعقل والتدبر فيما نفعل أو لا نفعل.

إن الكبر وكما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو بطر الحق (أى رده) وغمط الناس (احتقارهم والاستهزاء والسخرية منهم والتهكم). إن المتكبر هو المتعالى عن صفات الخلق، وإن الفخر هو التمدح بالخصال، ويعتبره علماء الأخلاق درجة من درجات التكبر، وهو مباهاة بتعداد المكارم والمناقب والتطاول على الناس بذلك.

المقال الخامس
طبق حب الذات

إن طبق اليوم هو طبق حب الذات فماذا يعنى حب الذات ؟ لقد توقفت مع نفسى، فى لحظة ترويض، والترويض ليس من الأمور السهلة على النفس فهى تتقلب كثيرا، وقلت طالما أننا سوف نتناول طبقا آخر يطلق عليه حب الذات فتساءلت: هل حب الذات غريزة؟ وإذا كانت غريزة فالغرائز تحتاج إلى الترويض ويا له من ترويض شاق، فحب الذات غريزة فى الإنسان، يطوق الإنسان نفسه داخلها، وعليه ألا يطلق لها العنان وإلا تحولت هذه الغريزة الفطرية إلى مفهوم الأنانية، لأنه إذا أطلق العنان لحب الذات تحولت إلى روافد طامحة طامعة لاستخدامها فى إشباع الغرائز الأخرى ومتطلبات هذه الغرائز، وهى غريزة شديدة الطلب، والإسلام جاء ليهذب هذه الغريزة، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، أى إن حب الإيثار وحب الآخرين كفتى ميزان ليعدل رمانة الميزان بالإيمان، والترغيب فى حب الآخرين، و من الضرورى أن يتساوى مع ما تحبه لنفسك حتى يكتمل الإيمان.

إن حب الذات التى تجنح إلى الأنانية أى تفضيل مصلحة الفرد عن مصلحة الآخرين، فتتسم العلاقة بالأنانية، والأنانية هى ما يعرف وتنطلق من الأنا، وكلمة أنا قد خرجت من ابليس، **{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}.(الأعراف-١٢)**

وهنا نرى أن مسالة التفضيل، فى أنا خير منه، فمن هنا نجد الاستكبار والغرور والأنانية وحب النفس، وكلها من روافد حب الذات، ومن هنا بدت معركة الاستكبار والغرور والأنانية، وهى معركة أدت إلى ما نحن فيه من حب الذات والتوابع منها فى الاستعلاء والاستكبار والأنانية والغرور، نعلم فى قضية خلق آدم فلما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة، دون الملائكة الذين فى السموات : **{اسْجُدُوا لآدَمَ}**، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس

استكبر لما كان حدَّث نفسه، من كبره واغتراره، وقد كان الرد الطبيعى من الله عز وجل فى سورة الأعراف آية ١٣ **{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ}**. إذن التكبر وحب الذات أخرجت إبليس، وقد طلب إبليس فى سورة الأعراف آية ١٤ **{قَالَ أَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ}**. إذن حب الذات أوصله إلى ذلك، وأصبحت القضية فى حب الذات والاستكبار هى ما نحن نعانيه من توابع (انظر للآيات ٣٦-٤٠ من سورة الحجر **{قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ٤٠}**.

إذن كما نرى فإن هذه القضية ناتج من حب إبليس لنفسه، وأراد أن ينقلها للإنسان، عن طريق التكبر واستعلاء النفس وتبدأ قضية حب الذات. إنها قضية الأنا، قضية التكبر والفرد الأنانى ينظر إلى نفسه، وإن قضية الأنا هى قضية خطيرة ففى سورة الزمر **{أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين}. آية ٦٠**.

إن حب الذات يتبعه الرياء بهدف استقطاب قلوب البشر، وإن حالة الأنا هى من الغرور وهى حالة نفسية بالإحساس بالكمال والقوة ويصور الإنسان إنه فى قمة الفضل، وإن أخطر ما فى ظاهرة الأنا ظاهرة الجشع المادى، وفيها أبواب كثيرة من بخس الناس فى رواتبهم أو عملهم، وحب الذات المؤدى إلى الجشع المصاب به لا يتنازل عن أى مصلحة ولو لأهل الحاجة أو لأهل الاضطرار، وحب الذات فى المعاملات المالية هو تعامل مؤذ لأنها نوع من الأنانية البغيضة يجلب الحقد بين الأفراد ويمنع وصول الحقوق بين البشر، ويتبع حب الذات فى المال تذمر أهل الحق، وظاهرة الأنا إذا تفشت فى مجتمع ما تعرى هذا المجتمع بما فيه ظلم للآخرين. إن حب الذات يتبعه ظاهرة الشح، ومضاد هذه الظاهرة فى الشح هى فضيلة الإيثار: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)}. (الحشر-٩)**.

إن حب النفس المبغض، وبالذات فى حب المال، فإن الأنا تدفع إلى البخل، وإذا كان المرء قويا بإيمانه تقيا فى الله **{ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ }**.(ق- ٣٣)

فليعلم قول الله تعالى فى سورة المعارج **{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}.(المعارج- ٢٤ -٢٥).**

إن حب الذات وتفضيل نفسك عن الغير بالاستكبار أو الاستعلاء لهو أمر يثير العداوة والبغضاء فيما بين البشر، وان قضاء الحاجة للمسلم امر اساسى فمن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، وإن الشخص ذا الأنا إذا رغبت منه حاجة فتذكر قول بعضهم، اذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكرة ثانية فلعله أن يكون قد نسى فإذا لم يقضها فكبر عليه واقرأ **{والموتى يبعثهم الله}. الأنعام ٣٦** .

إن طبق الأنا وحب الذات له من الأمراض والمضار فى ضياع الحقوق وظهور العداء والكراهية وانتفاء كمال الايمان، وجلب الخصام والنفور وهو معول هدم للنفوس.

إذا كان حب النفس والذات من التقدير الذاتى لاحترام أنفسنا واحترام أجسادنا لما فيها من روح تسكنها وعقلية منحنا الله إياها، فنقدر نعمه لا أن نفتخر على الناس أو نتعالى عليهم ونشكر ربنا فيما رزقنا ونحمده.

وإن الفطرة السليمة والنفس الصافية تتميز بالإيثار وحب الغير كما تحب نفسها، ومخالفة حب الغير على غير الفطرة تدمر القلوب وتدمر النفوس، ولا ترقى بنا، فحب الذات البغيضة، تدمر صفاء الحب بين البشر.

إن حب الذات يفرز أمامنا أطباقا متعددة هى طبق التبجح و الادعاء وتَبَجُّح يعنى جُرأة مُستهَجنة وسوء أدب، وسلاطة لسان **{ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون}. (الأنفال: ٢١)**، وتبجَّح الشَّخصُ يدخل فى التكبَّر و الفخر والتباهى فى صلف وادّعاءٍ والعالم الحقّ لا يتبجَّح بعِلْمه، والمتبجح مصاب بإحساس النقص وهو من قلة الايمان.

طبق التكبر، واستكبر الرَّجلُ أى أنه تكبَّر و عاند و تجبَّر وتعاظم وامتنع عن قبول الحقّ وتمرَّد، **{ثُمَّ أَدْبَرَوَاسْتَكْبَرَ}. سورة المدثر٢٣**، من تناول من طبق التكبر تعالى على الناس يرى فى نفسه ميزة عن غيره، كنسب أو علم أو جاه، وهو مرض يغضب الله وسخط الناس، فالله لا يحب المتكبرين **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}.(النساء: ٣٦)**.

إن الله سبحانه وتعالى له الكبرياء ولا يحق التصاق هذه الصفة بالإنسان **{وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم}. الجاثية ٣٧** وطبق الأنانية، والأَنانِى هو مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ حُبّاً مُفْرِطاً وَلاَ يُفَكِّرُ فى غَيْرِهِ، الْمُعْجَبُ بِذاتِهِ، فالأنانية مبالغة فى حب الذات وتكالب على الدنيا وهى تجر صاحبها إلى الرغبة وطلب الشهوات، واتباع هواه وغواية الشيطان، وأيضا يوجد طبق الغرور بتزكية النفس على الآخرين **{ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم}. – النساء ٤٩** والتباهى والغرور كانت من أسباب خروج إبليس، وهو يوم المفاضلة الذى ذكرته فى مقالاتى السابقة **{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}.(الأعراف: ١٢)**.

طبق البطر و بَطِرَ النِّعْمَةَ أى اِسْتَخَفَّهَا فَكَفَرَهَا القصص آية ٥٨ **{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا}**. إن الطغيان بالنعمة وصرفها إلى غير أوجهها مرض كبير **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}. (الأنفال- ٤٧)**. طبق النميمة والنَّميمَة هى وشاية، نقل الحديث على وجه الإفساد والوقيعة بين النَّاس، ويسعى بين البشر لينقل أحاديثهم بقصد الإفساد فى العلاقات وتعتبر من كبائر الذنوب، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة نمام»، وقال تعالى: **{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢))}. القلم. وطبق الغيبة والغِيبَةُ هى أَن تذكر أَخاك من ورائه بما فيه من عيوب يسترها ويسوءه ذِكْرُها، وقد نهانا الله عنها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}**.

وطبق الغيبة والتجسس من الأطباق الكريهة الرائحة، تفسد المجتمع، وتحطم أواصره، لقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : «من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة».

إذن حب الذات البغيضة أطباق متنوعة من التكبر والتبجح والاستعلاء والتكبر والأنانية والغرور والغيبة والنميمة. و إلى الغد إن شاء الله تعالى لنرى ماذا فى طبق الكذب.

المقال السادس
طبق الكذب

ونصل إلى أخطر طبق من الأطباق ألا وهو الكَذِبُ وهو خلاف الصِّدق، قول يخالف الحقيقةَ مع العِلم بها، «**إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إلى الْفُجُور**»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إلى الْبِرّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إلى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إلى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إلى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**».

إن النقيض يوضح نقيضه، وإذ نحن اليوم أمام اخطر طبق يغير الكثير فى حياتنا. إنه طبق الكذب، ولأنه معلوم أن لكل كلمة مترادفات كثيرة يتوقف معناها ومدلولها حسب موقعها فى العبارة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن من مترادفات الكذب، اختلاق وافتئات وافتراء وبهتان وفرية ومكر ومخادعة ونميمة وأفوك وتلفيق و تَخَرُّص وغيرها من المترادفات الكثيرة إلا أنه ما يعنينى لكى نظهر اللون الأسود علينا أن ننظر إلى اللون الأبيض، واللون الأبيض هنا الصدق وهو ضد الكذب، فلنبدأ بالصدق لنصل لمعنى الكذب.

فمفهوم الصدق عكس الكذب، والكذب هو إخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وهناك كذب الظن والسمع والعين، وفى التنزيل العزيز : **{وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ (٦٦)}**، (الأنعام –٦٦). وفيه : **{وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (النبأ-٢٨)}**.

والصدق خلاف الكذب، والكذب لا قوة له وورد الصدق بمشتقاته بالقرآن فى ١٢٧ موضعا ويمكن الرجوع إلى المواضع ومنها على سبيل المثال: **{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ}، الزمر٣٢**، وكذلك فى الزمر ٣٣**{وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}**.

ولأهمية الصدق نقول إن المعنى فى العلاقة المالية للزواج بين الرجل والمرأة فسمى المهر المقدم بالصداق فأخذ معنى الصلابة والقوة بين الزوجين ليكون ميثاقا فى القصد فكان صدق الفعل بإعطاء الحق المشروع للمرأة، ويطول هنا شرح مفهوم الصدق ويحتاج إلى باب مفصل.

أما الكذب فقد ورد فى ٢٥١ موضعا فى أوجه ستة هى النفاق كما فى سورة المنافقون آية ١ **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}**، القذف كما فى سورة النور آية ٧ **{وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}**، الرد كما فى سورة الواقعة آية ٢ **{لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ}**، التكذيب كما فى سورة ق آية ٥ **{بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ}**، الافتراء كما فى سورة الزمر آية ٦٠ **{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ}**. وهنا يعنى أن الكذب متعلق بالقول على وجه أخص بالخبر دون سائر صيغ الكذب، وبتتبع الألفاظ والأوجه فى الكذب نرى من المترادفات التى تحدثت عنها كالإفك **{أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)}**. – الصافات

والإفك هو كذب مراد به سوء فى صرف الأمور عن جهتها الأصلية وهو أشد من الكذب، وهناك الافتراء **{فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}. (آل عمران: ٣)**، وهناك البهتان وهو أشد من الكذب فى كونه رمى الغير بالباطل والكذب المفترى.

وبصرف النظر على أنواع الكذب، فأقصى أنواع الكذب، الكذب على الله ورسوله **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أو كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}. (الأنعام: ٢١)**. ويلى ذلك الكذب على الناس فيما يتعلق بالأعراض والأموال والأنفس، ومن أبرز ذلك قول الزور كما جاء فى الحديث «ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور» (والحلف زورا) كما فى الحديث: «من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقى الله وهو عليه غضبان»، وهو أشد من قول الزور ومن الكذب أيضا، الكذب فى البيع والشراء (التدليس) وجاء فى الحديث: «اليمين الكاذبة مُنفقة للسلعة مُمحقة». والكذب بقصد المزاح والسخرية كما بالحديث «ويل للذى يُحدِّث فيكذب ليُضحك»، والكذب لإفساد ذات البين كما بالحديث «من خبَّب زوجة امرئ أو مملوكة فليس منا».

وخبَّب الشَّخصُ الشَّخصَ أى خدعه وأفسده و غرَّر به وكما جاء بالقرآن سورة محمد آية ٢٢{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}. وهناك كذب لا يتعلق بشيء من أموال وأعراض الناس وهو مذموم كما بالحديث : «من ادَّعى ما ليس له فليس منا، وليتبوَّأ مقعده من النار»، وكذلك « من تحلم بحلم لم يره، كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة، عذب وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ». رواه البخارى. تحلم أى: قال إنه حلم فى نومه ورأى كذا وكذا، وهو كاذب و الآنُك بالمد وضم النون وتخفيف الكاف : وهو الرصاص المذاب.

إن الكذب قلب الحقيقة باطلا وذهاب المروءة، وتصوير للمعدوم، ويهدى للفجور، فمن يكذب يفعل كل شيء، والكاذب تنفر منه القلوب، ولا يفلح على الإطلاق، وهو علامة نفاق، وتوعده الله بجهنم، إن كل الفساد الكامل فى الكذب، وكم من أسر تهدمت من الكذب، والأسرة نواة المجتمع، فتتهدم مع الكذب المجتمعات، والكذب حين يأتى على لسان الإعلام فاعلم أنه طريق الضلال الكامل وهو تغرير.

توقفت عن مشاهدة المائدة وعليها صنوف الأطباق، وسألت نفسى: أإذا تناولت الروح من الأطباق الروحية التى ذكرتها، فماذا يكون الأعضاء حين يكون غذاؤها الروحى والمتمثل فى السلوك العقائدى؟ فإن الروح سجين جسد، ولأن الجسم والروح متأرجحان ككفتى ميزان، لا تثقل كفة عن كفة إلا بمقدار ما تبخس به الأخرى.

إننا نعيش بأرواحنا داخل أجسادنا، وإن نقاوة الروح تنقى الجسد من الذنوب، ومدخل الروح فينا مبنى على العقيدة والفطرة، فإذا قمنا بتغذية الجانب الروحى بأخطاء فى التطبيق والفهم العقائدى أو الدينى، تحركت أعضاؤنا إلى الشهوات واقتراف الذنوب فكما يعيش الإنسان على أطباق المائدة والطعام لينمو جسمه، فهو كذلك يحتاج إلى موائد نقية طاهرة من قواعد دينه من كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، تُعلمه كيف يكون طيب العيش، ليسلم جسده من النار وعذاب الله. إن الفشل فى التوازن بين الجانب الروحى والمادى فى الثنائى المتلازم، إذا انفصل أى منهما على البعض، نعيش حالة من التطرف والجهل، وإن الاعتدال فى توازن الجانبين هو الوسطية لأفضل ثنائية بين الروح والجسد.

المقال السابع
موائد الجوع وموائد الرحمة

نتحرك نحن فى ثنائى متناغم، جسد يحمل بداخله روحا، وحين يتضارب أى من الثنائى تختل الحركة فى إيقاعها، وضبط الإيقاع بينهما يحتاج إلى التوازن الكامل بحيث لا يسقط معيار عن آخر، فنصاب بتشوهات خُلُقية وخَلْقية، فالتشوهات الخُلُقية تحدث من تناول أطباق هى طبق الخطايا والذى يمحوه غض البصر والرضا، وطبق الظنون القاتل والمدمر حين يصاب المرء منه بالتشويش، وطبق الخوف والفرار والانفصال الذاتى والنفسى عن أرض الواقع فنصاب بالرهاب والفصام ونحتاج إلى الأمان، ثم طبق حب الذات وهى طبق التعامل معه يجعل المرء منا فى حالة هياج ذاتى لما فى الطبق من صفات الأنانية والتكبر والتبجح والاستعلاء والتكبر والغرور والغيبة والنميمة وكلها من الصفات التى تحتاج إلى ترويض، ثم يأتى الطبق الأخير وهو الكذب وهو طبق مهلك، تنقلب فيه الحقائق للباطل.

أَمُر بين موائد الدنيا المفروشة، فيها ما يبهر العين سحرا، تلهث النفس بشكل أو بآخر تأخذ ما تأخذ، فكيف نختار الأطباق، إن التحرى فى الأطباق التى نتناولها وما تحمله من صفات سيئة، تجعل المرء يسير على هواه، لا يبصر ما حوله وما بين يديه **{أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. (الملك : ٢٢)** .

من منا راجع نفسه الآن ليرى موقعه على موائد الجوع وأى طبق يتناول أو تناول، إن السلوك الذى نتبعه فى حياتنا إن لم يكن مرتبطا بالعقيدة تاهت أقدامنا وأرجلنا، من منا ينطق بشفاه الأخلاق واستقامة أداء ويتحرك فى حياء وتواضع فى رجاء، و من التواضع وأدبه منه جاء، من جاء وفى قلبه الرحمة فيما بيننا، من منا رطب لسانه كل يوم ولو بآية انه حجة علينا، إن الانحراف

يبدو من السلوك، فكل منحرف مهما حاول أن يخبئ أمره سوف نراه فى سلوكه فالسلوك مرتبط بالعقيدة، والسلوك الأخلاقى أهم ما فى البشر ودون اتباع الأخلاق ضياع وانهيار القيم والأمم.

ويدور السؤال فى الذهن، يعصر عقلى، يضيق بصدرى، يعجز لسانى، وأجد أمامى أصعب الأسئلة، وأقساها، إن الشيطان وراء كل حدث، يدخلنا فى أنفاق الخطايا، فنقع فى الخطيئة، فتبكى القلوب، وتندم الأنفس، ولا يهدأ الشيطان فى مداخله فيفسد الثنائى بداخلنا فى الجسد والروح، إنها المعركة الحقيقية، وأتساءل: كيف أحارب وأنا بمفردى؟ فتأتى الإجابة: الله خلق عباده وهو أرحم الراحمين فرحمة الله وسعت كل الخطايا والذنوب، فلنغتسل من رحمة الله ولنبدأ.

الرحمة تنفعل بداخلنا فى قلوبنا، فحين نرى ضعيفا نندفع لنساعده، نندفع فى حالة الرقة، فكيف نحن إذا ما مر بنا الضيق أو نتلوى فى خطايانا طالبين النجدة إنها الرحمة. إن تغير الأوضاع فى حياتنا رحمة لا ندركها، إن ما أخذناه من أطباق الخطايا، وما رغبنا فيه من الحياة الباقية فى أطباق غير أخلاقية تدعونا إلى التغير للأفضل، ولن نتغير إلا من أنفسنا **{إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**. (الرعد– ١١).

إن الانحراف عن طريق الصلاح والاستقامة ينزل بنا ما نحن فيه من نكبات وشدائد، فإذا قمنا بتغيير أنفسنا واتبعنا كتاب الله وسنة نبيه وأتينا بالأخلاق فى أكفنا كباقة ورد ننثرها فى وجوه الآخرين كان لنا الرحمة من الله، سبحانك ربى فالفضل من عندك **{يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ}. [المؤمنون:٢٤]**، إن من ينظر إلى الآيات التالية :

{وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}. [البقرة:١٠٥] وقوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}. [الأنفال:٢٩]، {سَابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}. [الحديد:٢١]، {وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}. [الحديد:٢٩].

يجد إن المسافة الباقية من حياتنا تحتاج إلى المراجعة والتقوى مفتاح المغفرة، فلنسابق إليها، وفضل الله يحيط بنا ورحمته وسعت كل شيء **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}**. فسبحانك ربى «إن لله مائة رحمة عنده تسعة وتسعون وجعل عندكم واحدة تتراحمون بها بين الجن والإنس وبين الخلق فإذا كان يوم القيامة ضمها إليه». فسبحانك ربى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة

إن الرحمة الإلهية رحمة عامة ورحمة خاصة، فالرحمة العامة تشمل كل الخلائق والموجودات وبدون استثناء من الجماد والنبات والحيوان والإنسان والمؤمن والكافر والمنافق والصالح والطالح **{فَقُل رَّبُّكُمْ ذُورَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ}**. (الأنعام-١٧٤). وأما النوع الثانى فهى الرحمة الخاصة، وهى تختص بالمؤمنين فقط، لقد عصى إبليس ربه مرة واحدة فطرده الله من الجنة ملعونا، وعصى آدم ربه فغوى، ولم يذكر الله حواء فأراد الستر لها، وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، فرحمة الله وسعت كل شيء، إن الإنسان رغم كل أخطائه يفتح الله له باب التنبه فى يومه ليلا ونهارا على مصراعيه قبل أن يغرغر، فرحمة الله واسعة، فليدق باب التوبة النصوح.

لقد حث الله على التوبة الصادقة النصوح التى لا رجعة فيها فقال سبحانه **{يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً}. (التحريم: ٨)** وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»، إن الصدق فى التوبة المستوفاة الشروط، يقبل الله توبته مما كان فيه حتى ولو عظم الأمر، وهذا خبر الله والله لا يخلف الميعاد **{وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوعَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}**. **الشورى:٢٥**، إن شروط التوبة ندم وعزم وإقلاع، ندم على فعل وعزم على اللا عودة للمعصية، وهذه معصية العبد بينه وبين ربه، أما ما بين العبد وحق إنسان آخر، فإبراء ذمة وعفو، فإن كان مالا رد إليه وغيبة أو قذفا طلب العفو، وغير ذلك، «إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن فى الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب». إن عدم أخذ الأسباب اللازمة للبعد عن المعصية ضرورة

وبدون أخذ الأسباب نكون كمن رعى حول الحمى (الحِمَى هو المَوْضِعُ فيه كَلأ يُحمَى من الناس أن يُرْعَى)، أوشك أن يقع فيه، فإطلاق البصر فى النساء والصور الخليعة والخلوة وعدم التحرز (البعد والحذر)، وقد حرم الله ذلك، لأن ذلك من مداخل الشيطان، قال تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمربالفحشاء والمنكر}. (التوبة: ٢١).**

اللهم فها أنا ذا قد جئتك مطيعاً لأمرك فيما أمرت به من الدعاء متنجزاً وعدك فيما وعدت به من الإجابة إذ تقول ادعونى أستجب لك، اللهم فصل على محمد وآله، والقنى بمغفرتك كما لقيتك بإقرارى، وارفعنى عن مصارع الذنوب كما وضعت لك نفسى واسترنى بسترك كما تأنيتنى عن الانتقام منى، اللهم وثبِّت فى طاعتك نيتى، وأحكم فى عبادتك بصيرتى، ووفقنى من الأعمال لما تغسل به دنس الخطايا عنى، وتوفنى على ملتك وملة نبيك محمد عليه السلام إذا توفيتنى، اللهم إنى أتوب إليك فى مقامى هذا من كبائر ذنوبى وصغائرها وبواطن سيئاتى وظواهرها وسوالف زلاّتى وحوادثها توبة من لا يحدِّث نفسه بمعصية ولا يضمر أن يعود فى خطيئة وقد قلت، يا إلهى فى محكم كتابك إنك تقبل التوبة عن عبادك وتعفو عن السيئات وتحب التوابين فاقبل توبتى كما وعدت واعف عن سيئاتى كما ضمنت، وأوجب لى محبتك كما شرطت، ولك يا رب شرطى ألا أعود فى مكروهك وضمانى ألا أرجع فى مذمومك وعهدى أن أهجر جميع معاصيك، اللهم إنك أعلم بما عملت فاغفر لى ما علمت واصرفنى بقدرتك إلى ما أحببت، اللهم إن يكن الندم توبةً إليك فأنا أندم النادمين، وإن يكن الترك لمعصيتك إنابةً فأنا أول المنيبين، وإن يكن الاستغفار حطةً للذنوب فإنى لك من المستغفرين، اللهم فكما أمرت بالتوبة وضمنت بالقبول وحثثت على الدعاء ووعدت الإجابة فصل على محمد وآله واقبل توبتى ولا ترجعنى مرجع الخيبة من رحمتك إنك أنت التواب على المذنبين والرحيم للخاطئين المنيبين.